جهود الإمام سيدي عبد الرحمن الثعالبي المالكي في خدمة التفسير
مختصر الدُّر المصون في علم الكتاب المكنون للسَّمين نموذجا

الباحث عبد الغاني عيساوي /د.منصور كافي
جامعة الحاج لخضر باتنة

مقدمة:

كان لمساهمات علماء المغاربة عموما، وبلاد الجزائر خصوصا في بنيان تاريخ الحضارة العربية الإسلامية دور كبير فعال، اتسم بالعطاء والفاعلية والتنوع، وذلك من خلال مساهماتهم في جميع العلوم والفنون التي أقامت صرح الحضارة وبنيانها في بلاد المشرق من الشام حتى بلاد مصر والحجاز، والتي حلَّت فيها البصمة العلمية الفكرية المغاربية والجزائرية بالخصوص.

ومن بين تلك العلوم والفنون التي قام عليها علماء الجزائر إما تدريسا أو تأليفا أو جمعا بين الاثنين، تفسير القرآن الكريم وعلومه، هذا الفن الذي تربطهم به وشائج قوية ممتدة عبر التاريخ، إذ تذكر المصادر أن لعبد الرحمن بن رستم تفسيرا للقرآن الكريم، وأنه بهذا الاعتبار أول من صنَّف في علم التفسير بالقطر الجزائري1 في تلك المرحلة المبكرة جدا، بعد تأسيسه للدولة الرستمية المستقلة سنة: 160هـ.

وكثير من المصادر والمراجع التي تكلَّمت عن ظهور التفسير ببلاد المغرب والقيروان، تجعل من «تفسير يحي بن سلام»(ت:200هـ) أول تفسير ظهر في تلك الحقبة المبكرة، متناسية بذلك «تفسير ابن رستم»، ولعل للشأن السياسي والتحذير السُّني والأموي2 من الخلافة الرستمية والمذهب الإباضي وأنه مذهب

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

الخوارج3، واستعمال النصوص الواردة في ذمه، الدور الكبير في هذا التصنيف وتلك الإشادة بتفسير يحي بن سلام البصري، فقليلة هي المصادر التي ذكرت تفسير ابن رستم، إلا المصادر الإباضية أو التي أرَّخت للدولة الرستمية عند ذكر مؤسسها الأول.

ثم توالت جهود علماء الجزائر في هذا الفن اعتناء وخدمة، بالتأليف في فنونه وعلومه والإقامة على تدريسه وبثه، وعرفت الساحة التفسيرية ابتداء من زمن الدولة الرستمية إلى زمن الدولة العثمانية نموا متسارعا واهتماما متزايدا خلَّف تركة تفسيرية أنتجت مدرسة تفسيرية ذات ملامح وخصائص يمكن وصفها بالمدرسة الجزائرية التفسيرية، ولعل من الأعمال العلمية في التفسير التي تزخر بها المكتبة الجزائرية، عمل الإمام عبد الرحمن التتلاني في اختصاره للدر المصون في علم الكتاب المكنون للسَّمين الحلبي، والذي سنأتي عليه توصيفا وبيانا بما يلي:

ترجمة الإمام عبد الرحمن التتلاني:

هو الشيخ عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأموي التتلاني، المكنى بأبي زيد، ينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، أحد أعلام الجزائر في التفسير بالديار الصحراوية، كان من مجتهدي وقته في المذهب المالكي، شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ4، وهو شيخ الإمام محمد الزجلاوي المفسر صاحب «ألفية التفسير» و«ألفية الغريب في القرآن».

تتلمذ في التفسير على يد العلامة سيدي بن سعيد العميري5 وقرأ عليه بمكناس الزيتون6، كما أخذ تفسير البيضاوي عن الشيخ المفسر عبد الرحمن الجنتوري7 وذكر ذلك في إجازته له8، وتتلمذ على يد الشيخ أحمد بن صالح9 وذكر في إجازته أنه أخذ عنه علم التفسير10، كما أخذ تفسير الجلالين من الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم من بني القاضي الدرعي11، وذكر ذلك في إجازته أيضا التي أجازه بها.12

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

كان ملازما للتدريس، وله إجازات كثيرة من شيوخه الذين تلقى عنهم العلم داخل الوطن وخارجه، توفي بمصر بعد رجوعه من حجة الفريضة، ليلة الأحد الأخير من صفر عام:1189هـ، ودفن بمقبرة الشيخ سيدي عبد الله المنوفي، ورثاه الكثيرون.

ترك مجموعة من التآليف منها: «مختصر النوادر»، «الفهرست» جمع فيه مروياته ومراحل حياته وذكر شيوخه والإجازات التي تلقاها عنهم، «الرحلة الحجازية» التي كانت آخر مؤلفاته،«السراج في الفلك» وهو في علوم الفلك، مخطوط في خزانة "كوسام" بأدرار، وله «مختصر الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون» للسَّمِين الحلبي، وهو موضوع بحثنا.

مختصر الدُّر المصون للإمام عبد الرحمن التلاني:

يعتبر تفسير«الدُّر المصون في علم الكتاب المكنون» للسَّمين الحلبي13 من أبرز كتب التفسير التي اعتنت عناية شديدة بعلم الإعراب واللغة والتصريف والبيان، حافلا بالشواهد الشعرية واختلاف القراءات وتوجيهها وقد ألَّفه السَّمين للرد على اعتراضات شيخه أبي حيان على الزمخشري، حيث انتصر له في كثير من المواضع مبينا سقوط حجة شيخه ومفهما وشارحا لكلام وقصد الزمخشري، وقد لاقى الكتاب رواجا واهتماما كبيرا، حيث اعتمد عليه الكثيرون، باعتباره موسوعة قرآنية متميزة في باب إعراب القرآن وتوجيه قراءاته وتفسيره البلاغي واللغوي، كالإمام سليمان الجمل في كتابه «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين»، والشهاب الخفاجي في حاشيته على« أنوار التنزيل » للبيضاوي، والألوسي في «روح المعاني» وغيرهم كثير.

واعتنت المدرسة التفسيرية الجزائرية بهذا التصنيف أيضا، إذ اختصره الإمام عبد الرحمن التلاني اختصارا دقيقا متينا، وسمَّاه «مختصر الدُّر المصون للسَّمين في إعراب الكتاب المبين».14

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

وقد ذكر أن اختصاره هذا اقتصر فيه على فنون ثلاثة وهي: الإعراب واللغة والتصريف لشدة الحاجة إليها وأنه أسقط الرابع لقلة من يتعاطاه من طلبة العصر، كما اقتصر أيضا في القراءات التي استوفاها فيه متواترها وشاذها على قراءة نافع التي رواها ورش وقالون عنه، لأنها محفوظ غالب طلبة المغرب.15

ولهذا المختصر نسخة نفيسة16 بخزانة الشيخ باي بلعالم بآولف ولاية أدرار، وهي نسخة كاملة عدد لوحاتها 211 لوحة، غير أنها صعبة القراءة خاصة بعد تصويرها لرداءة الخط وطمس الكثير من الكلمات والجمل فيها، وقد ذكر الشيخ باي بلعالم نموذجا من مقدمتها وخاتمتها في كتابه «الغصن الداني»17، وقد اعتمدتها لدراسة أسلوب ومنهج الإمام التنلاني التفسيري وطريقة اختصاره لكتاب «الدُّر المصون» للسَّمِين.

افتتح الإمام التنلاني مختصره بمقدمة ذكر فيها تحصيله وتمكنه من علوم القرآن كالإعراب والغريب والبديع والبيان، وأنه شُغف بكتاب «الدُّر المصون» للسَّمين لأنه مؤلَّفٌ حافلٌ لاحتوائه تلك الفنون، إذ يقول:" لـمَّا منَّ الله تعالى عليَّ بحفظ كتابه العزيز، وتحصيل ما تيسر من علومه كإعرابه وغريبه وبديعه وبيانه، وكان من أجلِّ ما أُلِّف في هذه الفنون الكتاب المسمى «الدُّر المصون في علم الكتاب المكنون »..".

ثم أبان عن منهجه في العلوم التي سيتناولها في هذا المختصر بأنه اقتصر:" على الفنون الثلاث– الإعراب والغريب والبديع– لشدة الحاجة إليها، وأسقطت الرابع– البيان– لقلة من يتعاطاه من طلبة العصر".18

ثم ذكر علم القراءات وأنه اقتصر على رواية ورش إذ يقول:" اقتصرت في القراءات التي استوفاها فيه متواترها وشاذها على قراءة نافع التي رواها ورش وقالون عنه، لأنها محفوظ غالب طلبة المغرب".19

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

وقد التزم هذا القيد في سائر تلخيصه، فكان لا يورد أقوال بقية القراء، ويكتفي بذكر قراءة نافع فقط، كصنيعه عند قوله تعالى:{في لوح محفوظ}[البروج: 22]، حيث أورد الإمام السَّمين بقية القراءات بقوله:"قرأ نافع بالرفع نعتا لـ{قرآنٌ}، والباقون بالجر نعتا لـ{لوح}. والعامة على فتح اللام، وقرأ ابن السميفع وابن يعمر بضمها"(17)، وعند الإمام التنلاني ذكرها بالقول:" نعتٌ لـ{قرآنٌ}".20

وكان يُغفل ذكر قراءة نافع وبقية القراءات مطلقا ولا يتطرق لها، كصنيعه في قوله تعالى:{لا تسمع فيها لاغية}[الغاشية: 11] حيث أورد السَّمين أقوال القراء فيها بالقول:" قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء، من تحت مضمومة على ما لم يسم فاعله،{لاغية}رفعا لقيامه مقام الفاعل. وقرأ نافع كذلك، إلا أنه بالتاء من فوق، والتذكير والتأنيث واضحان؛ لأن التأنيث مجازي. وقرأ الباقون بفتح التاء من فوق ونصب {لاغية}، فيجوز أن تكون التاء للخطاب، أي: لا تسمع أنت، وأن تكون للتأنيث أي: لا تسمع الوجوه. وقرأ المفضل والجحدري:{لا يسمع} بياء الغيبة مفتوحة، {لاغية}نصبا".21

غير أن التنلاني يُعرض عن كل ذلك بالقول:"{لا تسمع فيها لاغية}: أو جماعة لاغية، أو نفس لاغية أو كلمة ذات لغو".22

وهو دليل على تدخله أحيانا في متن السَّمين، بإضافته لمفهوم النفس اللاغية هنا.

ولعل تبريره هنا أنه لا يورد القراءات واختلافها ولا حتى رواية نافع عندما لا يترتب على اختلافها تغير في المعنى، فيسمع أو تسمع لا تغيير للمعنى فيها، بخلاف الموضع الأول في لوحٍ محفوظٍ أو لوحٍ محفوظٌ برجوع الحفظ على اللوح أو القرآن.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

وكصنيعه أيضا في قوله تعالى:{إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا}[الأحزاب: 10]، حيث أورد السَّمين قراءة نافع وابن عامر وأبي بكر وغيرهم بإثبات ألف بعد نون في{الظنونا}إذ يقول:" قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف بعد نون {الظنونا}ولام{الرسولا}في قوله: {وأطعنا الرسولا} ولام{السبيلا}في قوله: {فأضلونا السبيلا} وصلا ووقفا موافقة للرسم؛ لأنهن رسمن في المصحف كذلك. وأيضا فإن هذه الألف تشبه هاء السكت لبيان الحركة، وهاء السكت تثبت وقفا، للحاجة إليها. وقد ثبتت وصلا إجراء للوصل مجرى الوقف كما تقدم في البقرة والأنعام، فكذلك هذه الألف. وقرأ أبو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين؛ لأنها لا أصل لها".23

ولم يذكر كل ذلك الإمام التنلاني، ملتزما بضابطِ ما لم تكن القراءة محل خلاف في توجيه المعنى فلا يُتطرق لها، إذ يقول في اختصاره لكلام السَّمين في الآية:" ثبت وصلا ووقفا تبعا لخط المصحف، فهي في الرسولا والسبيلا، وهي تشبه هاء السكت في{يتسنه}و{اقتده} لبيان الحركة، وثبتت وصلا إجراء للوصل مجرى الوقف".24

وزيادته التمثيل بـ{يتسنه}و{اقتده} مع عدم ورودها في كلام السَّمين، دليلٌ أيضا على زياداته وتدخله في المتن، وإن وصف بالقلة.

وعرَّف كتاب السَّمين «الدُّر المصون» بأنه ردود على اعتراضات شيخه أبي حيان على الزمخشري، بل انتصر له في كثير من المواضع، بعد أن جمع فيه بين الإعراب واللغة والتصريف والبيان.25

وعلى الرغم من هذا التعريف إلا أنه أغفل مواضع انتصار السمين للزمخشري، وكان يمر بها دون ذكرها، كصنيعه عند قوله تعالى:{ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم}[آل عمران: 1–2] حيث دافع الإمام السَّمين عن

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

الزمخشري بتبرئته من القول بالوقوف على ميم قوله تعالى: {ألم} إذ يقول:" قلت: ومتى ادعى الزمخشري أنه يوقف على ميم من: ألف لام ميم وهي متحركة، حتى يُلزمه بمخالفة إجماع العرب والنحاة، وإنما ادعى الرجل أن هذا في نية الموقوف عليه قبل تحريكه بحركة النقل، لا أنه نقل إليه ثم وقف عليه، وهذا لم يقله البتة ولم يخطر له".26

فلم يتطرق الإمام التنلاني لدفاع السَّمين عن الزمخشري، وكان لا يورد مثل هاته المواضع تماما، واعتبرها –بزعمي– زيادات وإسهابات خارجة عن أصل الكتاب وتلخيصه، على الرغم من إشارته في المقدمة إلى أن الكتاب حوى العديد من المواضع في الدفاع عن الزمخشري من تهم شيخه أبي حيان.

وقد كان التنلاني في كتابه هذا، مقلًّا من النقول التي أسهب السَّمين في نقلها ولا ينسب الأقوال لأصحابها، بل كان يذكر خلاصتها فقط، كصنيعه في تفسير قوله تعالى:{وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم}[الأنفال: 10]، حيث أورد السَّمين كلام الزمخشري والواحدي والزجاج والفراء في عود ضمير الهاء في{جعله} واختلافهم في ذلك إذ يقول:" قوله تعالى:{وما جعله}: الهاء تعود على الإمداد أي: وما جعل الله الإمداد. ثم هذا الإمداد يحتمل أن يكون المنسبك من قوله:{أني ممدكم } إذ المعنى: فاستجاب بإمدادكم. ويحتمل أن يكون مدلولا عليه بقوله{ممدكم} كما دلَّ عليه فعله في قوله:{اعدلوا هو أقرب} وهذا الثاني أولى، لأنه متأت على قراءة الفتح والكسر في{أني} بخلاف الأول، فإنه لا يتجه عوده على الإمداد على قراءة الكسر إلا بتأويل ذكره الزمخشري وهو أنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول. وقيل يعود على المدد قاله الزجاج. قال الواحدي: وهذا أولى لأن بالإمداد بالملائكة كانت البشرى. وقال الفراء: إنه يعود على الإرداف المدلول عليه بمردفين. وقيل: يعود على الألف. وقيل: على الوعد المدلول عليه بـــ{يعدكم}. وقيل: على جبريل أو على الاستجابة، لأنها مؤنث مجازي، أو على الإخبار بالإمداد".27

في حين أورد الإمام التنلاني الأقوال ملخصة دون ذكر لأصحابها إذ يقول:" تعود على الإمداد المنسبك من أن {يمدكم} إذ المدلول ممدكم، وقيل

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

على المدد، وقيل على الإرداف المدلول عليه بـ{مردفين} يعدكم، وقيل على الاستجابة، وقيل على الإخبار بالمراد، وجعل هنا بمعنى صيَّر".28

وفي ترجيح أقوال السَّمين في المسائل الخلافية، التزم التنلاني اختيارات السَّمين دون الإشارة إليه بأنه هو الراجح عنده، على الرغم من تنويه السَّمين إلى ذلك، كصنيعه مثلا في تفسير قوله تعالى:{فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين}[الحجر: 79] حيث أورد الخلاف في ضمير التثنية في قوله تعالى:{وإنهما} بالقول:"في ضمير التثنية أقوال، أرجحها: عوده على قريتي قوم لوط وأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب لتقدمهما ذكرا. وقيل: يعود على لوط وشعيب، وشعيب لم يجر له ذكر، ولكن دل عليه ذكر قومه. وقيل: يعود على الخبرين: خبر إهلاك قوم لوط، وخبر إهلاك قوم شعيب. وقيل: يعود على أصحاب الأيكة وأصحاب مدين؛ لأنه مرسل إليهما فذكر أحدهما مشعر بالآخر".29

غير أن التنلاني لخَّص الكلام في الآية على النحو التالي:" التثنية عائدة على قرى لوط وأصحاب الأيكة، وهم قوم شعيب وقيل يعود على الخبرين، خبر إهلاك قوم لوط، وخبر إهلاك قوم شعيب، وقيل يعود على أصحاب الأيكة وأصحاب مدين، لأنه مرسل إليهما"30، وهو بهذا الصنيع يورد ترجيح الإمام السَّمين بالجزم مصدرا به كلامه، ثم يورد بقية الأقوال بصيغة التمريض –قيل– وهو منهج مطرد في تلخيصه هذا.

أما ما يتعلق بالاستشهاد بالأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، فلم يكن مكثرا منها على منهج صاحب «الدُّر المصون»، بل كانت شبه منعدمة في اختصاره ولا يذكرها إلا نادرا، ونفس الأمر في الشواهد الشعرية عند الإعراب، فلم يكن ناقلا لها على الرغم من كثرة نقل السَّمين لها وكثرة استشهاده بها، مع قلة اهتمامه بالمعاني اللغوية للفظة القرآنية والعلل الصرفية والأوجه الإعرابية، بل

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

كان يوجز فيها غالبا كصنيعه عند قوله تعالى: {إما شاكرا}[الإنسان: 3]، إذ يقول السَّمين في تفسيرها:" نصب على الحال، وفيه وجهان، أحدهما: أنه حال من مفعول {هديناه} أي: هديناه مبينا له كلتا حالتيه. قال أبو البقاء: وقيل: هي حال مقدرة. قلت: لأنه حمل الهداية على أول البيان له، وهو في ذلك الوقت غير متصف بإحدى الصفتين. والثاني: أنه حال من {السبيل} على المجاز. قال الزمخشري: ويجوز أن يكونا حالين من{السبيل} أي: عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا، وإما سبيلا كفورا كقوله:{وهديناه النجدين}[البلد: 10] فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا، والعامة على كسر همزة {إما} وهي المرادفة لـ أو، وتقدم خلاف النحويين فيها. ونقل مكي عن الكوفيين أنها هنا إن الشرطية زيدت بعدها ما، ثم قال: وهذا لا يجيزه البصريون، لأن إن الشرطية لا تدخل على الأسماء، إلا أن يضمر فعل نحو:{وإن أحدٌ}. ولا يصح إضمار الفعل هنا؛ لأنه كان يلزم رفع {شاكرا} وأيضا فإنه لا دليل على الفعل، انتهى. قلت: لا نسلم أنه يلزم رفع {شاكرا} مع إضمار الفعل، ويمكن أن يضمر فعلٌ ينصب{شاكرا} تقديره: إن خلقناه شاكرا فشكور، وإن خلقناه كافرا فكفور. وقرأ أبو السمال وأبو العجاج بفتحها. وفيها وجهان، أحدهما: أنها العاطفة، وإنما لغة بعضهم فتح همزتها، وأنشدوا على ذلك:

تُلَقِّحُها أمّا شَمالٌ عَرِيَّةٌ *** وأمَّا صبا جنْح العشيّ هَبُوبُ

فتح الهمزة. ويجوز مع فتح الهمزة إبدال ميمها الأولى ياء، قال: أيما إلى جنة أيما إلى النار، وحذف الواو بينهما. والثاني: أنها أما التفصيلية، وجوابها مقدر. قال الزمخشري: وهي قراءة حسنة والمعنى: أما شاكرا فبتوفيقنا، وأما كفورا فبسوء اختياره، انتهى. ولم يذكر غيره".31

كل ما ذكر من الشواهد الشعرية وخلافات النحويين والقراء، اختصره التنلاني بالقول:"نصبٌ على الحال من مفعول {هديناه} أو من{السبيل} مجازا، أو عرَّفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا".32

وتبعا لصاحب «الدُّر المصون» فإن الإمام التنلاني لم تكن له عناية بالنواحي العقدية والفقهية والسلوكية في مختصره هذا، ولم يتطرق لها في

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

مواضعها القرآنية، كما لم تكن له عناية واضحة بالناحية الأثرية في مختصره، على الرغم من ورود إشارات ووقفات تفسيرية هامة في تفسير القرآن بالقرآن، وبيان سر خواتيم الآيات، التي أظهرها السَّمين وأغفلها التنلاني، كما في تفسير السَّمين لقوله تعالى:{شهر رمضان} الآيات إلى قوله تعالى:{ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون}[البقرة: 185] إذ يقول في سر ختمها بطلب الشكر:" وختمت هذه الآية بترجي الشكر لأن قبلها تيسيرا وترخيصا، فناسب ختمها بذلك. وختمت الآيتان قبلها بترجي التقوى، وهو قوله:{ولكم في القصاص حياة} وقوله:{كتب عليكم الصيام} لأن القصاص والصوم من أشق التكاليف، فناسب ختمها بذلك، وهذا أسلوب مطرد، حيث ورد ترخيص عُقِّب بترجي الشكر غالبا، وحيث جاء عدم ترخيص عقب بترجي التقوى وشبهها، وهذا من محاسن علم البيان"33، ولم يتطرق الإمام التنلاني لهذا المعنى أصالة، وأوجز في تفسير الآية كعادته.

ونفس الأمر في تفسير قوله تعالى:{وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار}[إبراهيم: 34]، فقد تطرق السَّمين لسر ختم هاته الآية بوصف الإنسان بالظلم والكفر، ولم يتطرق التنلاني لذلك مطلقا، وغيرها من المواضع.

وقد اتسم اختصاره لـ «الدُّر المصون» بالوجازة الشديدة، فكان يختصر الكلام الكثير الذي يصل حد الصحفة والصفحتين والثلاث لسطر أو سطرين، كما لم يلتزم بلفظ المؤلف في اختصاره، إنما كان يركب الجمل أحيانا بأسلوبه الخاص، ككلامه عن الاستعاذة، فقد أسهب صاحب «الدُّر المصون» الكلام فيها، وفي تعريفها وكيفيتها وتعريف العوذ وتصريف فعلها، وشاهدها من كلام العرب والشعر، فاختصرها التنلاني في سطر واحد إذ يقول دون التزام بنص السَّمين:" ليست من القرآن إجماعا، وإنما أُمر بالابتداء بها وجوبا أو ندبا"34،

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

وجاء كلام السَّمين في باب الاستعاذة في سبعة لوحات35، واختصره التلاني في سبعة أسطر، وهو اختصار شديد تميز بأنه لم يكن مخلا بالمعنى، إنما كان مختزلا للإسهابات وكثرة الأمثلة والشواهد والوجوه.

وقد نظم الشيخ محمد الأمين الأنصاري التادمكي36سنة:1414هـ«مختصر الدُّر المصون» لأبي زيد التلاني، وأتى النَّظم في 224 بيت، وقام الدكتور علي بن سلطان الحكمي37بشرحه، وسمى الشرح «القواعد النفيسة المعروفة بنظم المشكل في قواعد المعرب».38

وبانتظار خروج هذا العمل الكبير والمختصر الفريد لنور الطباعة، فإن التراث الجزائري ليفخر به ويعتد به كأحد مفاخر التراث التفسيري لعلماء الجزائر.

اللوحة الأولى من النسخة المعتمدة

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

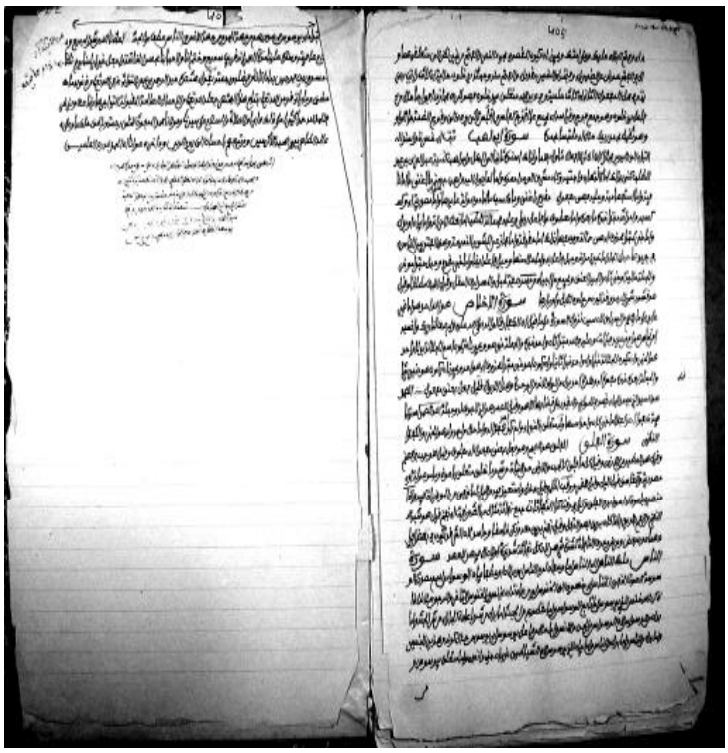

اللوحة الأخيرة من النسخة المعتمدة

الهوامش:

1: "معجم أعلام الإباضية" إبراهيم بحاز ج:2، ص:248 ،"معجم المفسرين" لنويهض ج:1،ص:265. "الدولة الرستمية" إبراهيم بحاز، ص288– 290. محمد المختار إسكندر في " المفسرون الجزائريون عبر القرون"، ص: 34، "التفسير والمفسرون" محمد الذهبي، ج:02، ص:332."كتاب السير" سعيد الشماخي، ج1، ص:114.

2: كرواية سيف بن هارون البرجمي قال: رأيت في المنام في موضع علمت أنه ليست في الدنيا، فإذا أنا برجل لم أر قط أجمل منه فقلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا يوسف بن يعقوب، فقلت: قد كنت أحب أن ألقى مثلك فأسأله، قال: سل، فقلت: ما الرافضة؟ قال: يهود، قلت: ما

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

الإباضية؟ قال: يهود. أنظر:حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، دط، ت:1974م، ج:06، ص: 385.

3: جعل الذهبي لقلة تصانيف الخوارج– الإباضية– في التفسير وعلومه أسبابا ثلاثا، وأغفل تماما دور السلطة السياسية في هذا الأمر، فقال: "ما السر فى أن الخوارج قَلَّ إنتاجهم فى التفسير؟ والجواب عن هذا السؤال –كما أعتقد – ينحصر فى أُمور ثلاثة وهي ما يأتى:

أولاً: أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، ومن قبائل تميم على الأخص، وقليل منهم كان يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه ببداوته، فكانوا لغلبة البداوة عليهم أبعد الناس عن التطور الدينى والعلمي والاجتماعي، وكانوا يمثلون الإسلام الأول فى بساطته، وعلى فطرته بدون أن تشوبه تعاليم الأُمم الأُخرى. أضف إلى ذلك: احتفاظهم بأهم خصائص أهل البدو من سذاجة التفكير، وضيق التصور، والبُعْد عن التأثر بحضارة الأمم المجاورة لهم.

ثانياً: أنهم شُغِلوا بالحروب من مبدأ نشأتهم وكانت حروباً قاسية وطويلة ومتتابعة.. أسلمتهم حروب علي إلى حروب الأمويين، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التى تركتهم في حالة تشبه الاحتضار وتؤذن بالفناء، فكان من الطبيعى أن لا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف.

ثالثاً: أن الخوارج – مع ما هم عليه من شذوذ –كانوا يخلصون لعقيدتهم، ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير، ويرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم، وبه – عند جمهورهم – يخرج الإنسان من عِداد المؤمنين – فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه، مخافة أن لا يصيبوا الحق فيكونوا قد كذبوا على الله.. وقد سُئِل بعضهم: لِمَ لَمْ تُفسِّر القرآن؟ فقال: "كلما رأيت قوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويل * لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوتين} [الحاقة: 44–46] أحجمت عن التفسير". من أجل هذا كله لم يكن يُنتظر من الخوراج أن يُؤلِّفوا لنا فى التفسير كما ألفَ غيرهم، وليس التفسير وحده هو الذي حُرِم من تصنيف الخوارج وتأليفهم، بل كل العلوم فى ذلك سواء، وما وُجِد لهم من مؤلفات فى علم الكلام، أو الفقه، أو الأُصول، أو الحديث، أو التفسير، أو غير ذلك من العلوم فكله من عمل الإباضية وحدهم، لأن هذه الفِرْقة هى التى عاشت وانتشرت فى كثير من بلاد المسلمين، واستمرت إلى يومنا هذا، وتأثرت بتعاليم المعتزلة وغيرهم، وسايرت التطور العلمي والاجتماعي". التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، دط، ط ت، ج:02، ص:234.

4: موسوعة تراجم علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش ومحفوظ بن ساعد، ص: 394.

5: قاضي مكناس العلاّمة الأديب ولد بمكناس سنة 1103هـ، ومات سنة 1178هـ، عن خمس وسبعين سنة، أخذ عن أبيه وغيره من شيوخ فاس ومكناس، أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ سيدي المعطي بن صالح الشرقي،له فهرسة التنبيه والإعلام بفضل العلم والأعلام، وغير ذلك من

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

التآليف، دفن بضريح المولى أحمد بن خضراء بمكناس. أنظر:" فهرس الفهارس" ج:2، ص:813. و" موسوعة أعلام المغرب" ج:7، ص: 2382. له فهرسة في مجلد وسط، وهي أشبه بديوان أدبي منها بثبت، وقد اشتملت على فوائد وتراجم نفيسة، وهي عندي.

6: الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، دط،دت، ص: 14.

7: العالم العلامة والمحقق الفهامة، أصل أسلافه من بلدة تيطاف بتوات، ثم انتقلوا على عين صالح، ثم انتقل جده على لجنتور من بلاد تجورارين، قام برحلات عدة إلى بلاد الحجاز ومصر وغيرها، طالبا للعلم، كان ملازما للتدريس طيلة عمره مقرئا للحديث والتفسير والموطأ وعمدة الأحكام وبقية العلوم، توفي سنة: 1160هـ. انظر: "الغصن الداني" ص: 22.

8: نفس المرجع، ص:34.

9: لم أجد له ترجمة.

10: نفس المرجع، ص:35.

11: لم أجد له ترجمة.

12: نفس المرجع، ص:37.

13: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسَّمِين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات. شافعيّ، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة. من كتبه: تفسير القرآن، عشرون جزءا، والقول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، توفي بالقاهرة سنة: 756هـ. انظر: "الأعلام" ج:1، ص: 274. و" طبقات الشافعية" ج:3، ص:18.

14: لا يزال في عداد المخطوط، ويعمل الأستاذ أبو عبد التواب عبد المجيد رياش الجزائري عليه تحقيقا ودراسة. ذكر ذلك الشيخ محمد باي بلعالم في «الغصن الداني»، ص:81.

15: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، خزانة الشيخ باي بلعالم بآولف، لوحة:2.

16: ذكر صاحب «المعلمة» كتاب: المختصر الثمين في معرب القرآن" شرح في معاني مفردات القرآن، وذكر أن نسخة منه توجد عند الشيخ بن الكبير بأدرار. ربما تكون نفسها، ولم أستطع التأكد من ذلك لعدم الحصول عليها.

17: الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، ص:53–54.

18: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:2.

19: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:2.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

20: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط:1، ت: 1406هـ، ج:10، ص:750.

21: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التتلاني، لوحة:395.

22: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:10، ص: 769.

23: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التتلاني، لوحة:397.

24: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:9، ص: 98.

25: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التتلاني، لوحة:306.

26: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التتلاني، لوحة:2.

27: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:3، ص: 9–10.

28: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:5، ص: 572.

29: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التتلاني، لوحة:178.

30: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:7،ص: 178.

31: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التتلاني، لوحة:229.

32: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:7،ص: 178.

33: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التتلاني، لوحة:386.

34: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:2، ص: 289.

35: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التتلاني، لوحة:3.

36: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:1، ص: 7 – 12.

37: لم أجد ترجمته.

38: الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ولد بالمضايا إحدى مدن منطقة جازان عام1360هـ اتجه إلى مدينة مكة المكرمة للإلتحاق بالدراسات العليا فحصل على شهادة الماجستير سنة:1400هـ من جامعة جامعة أم القرى، ثم رحل إلى المدينة النبوية وبها حصل على درجة الدكتوراه عام 1402هـ، من قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، كانت له العديد من التكليفات الإدارية والعلمية، وله مؤلفاته وتحقيقاته كثيرة، توفي يوم الاثنين 1429/11/26هـ.

39: قد طبع الكتاب بدار البخاري بمكة المكرمة، سنة: 1416هـ، طبعة أولى.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com